بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سألت أيها الأخ الصفي منحك الله البقاء الأبدي وأسعدك السعد السرمدي
أن أبث إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الإمام أبو علي بن سينا
رحمه الله. من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه فعليه بطلبها والجد في اقتنائها. ولقد حرك
مني سؤالك خاطراً شريفاً أفضى بي والحمد لله إلى مشاهدة حال لم أشاهدها من قبل وانتهى
بي إلى مبلغ هو من الغرابة بحيث لا يصفه لسان ولا يقوم به بيان لأنه من طور غير طورهما
وعالم غير عالمهما. غير أن تلك الحال لما لها من اللذة والبهجة بحيث لا يستطيع من وصل إليها
وانتهى إلى حد من حدودها أن يكتم أمرها أو يخفي سرها بل يعتريه من الطرب والنشاط و
والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها مجملة غير مفصلة. وإن كان ممن لم تحذقه
العلوم قال فيها بغير تحصيل. حتى أن بعضهم قال في هذه الحال سبحاني ما أعظم شاني
وقال غيره أنا الحق. وأما الشيخ أبو حامد فقال متمثلاً عند وصوله إلى هذه الحال

فكان ما كان مما لست أذكره. فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وإنما أدبته المعارف وحذقته العلوم. وانظر إلى قول أبي بكر بن الصائغ في صفة الاتصال ل
فإنه يقول إذا فهم المعنى المقصود في كتابه. والظاهر أنه لا يكون من العلوم
المتعاطاة في رتبته وحصل بتصوره بفهم ذلك المعنى في رتبة يرى نفسه فيها مباينة لجميع
ما تقدم مع اعتقادات أخر ليست هيولانية وهي أجل من أن تنسب إلى الحياة الطبيعية
بل هي أحوال من أحوال السعداء منزهة عن تركيب الحياة الطبيعية خليق أن يقال
أحوال إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده. وهذه الرتبة هي التي أشار إليها
أبو بكر ينتهي إليها بطريق العلم النظري والبحث الفكري ولا شك أنه بلغها ولم يتخطاها

وأما الرتبة التي أشرنا إليها أولاً فهي غيرها وإن كانت إياها بمعنى أنه لا ينكشف
فيها أمر على خلاف ما انكشف في هذه. وإنما تغايرها بزيادة الوضوح ومشاهدتها
بأمر لا نسميه قوة إلا على المجاز. إذ لا نجد في الألفاظ الجمهورية ولا في
الاصطلاحات الخاصة أسماء تدل على الشيء الذي يشاهد به ذلك النوع من المشاهدة
وهذه الحال التي ذكرناها وحركنا سؤالك إلى ذوقها هي من جملة الأحوال التي
نبه عليها الشيخ أبو علي حيث يقول ثم إذا بلغت به الإرادة والرياضة حداً ما
عنت له خلسات من اطلاع نور الحق عليه إذ تراها كأنها بروق تومض إليه ثم تخمد عنه ثم
إنه يكثر عليه هذه الغواشي إذا أمعن في الارتياض ثم إنه يتوغل في ذلك حتى يغشاه في
غير الارتياض فكلما لمح شيئاً عاج منه إلى جناب القدس يتذكر من أمره أمراً فيغشاه
غاش فيكاد يرى الحق في كل شيء ثم إنه ليبلغ منه الرياضة مبلغاً ينقلب له وقته
سكينة فيصير المخطوف مألوفاً والوميض شهاباً بيناً ويحصل له معارفة مستقرة كأنها
صحبة مستمرة إلى ما وصفه من تدريج المراتب وانتهائها إلى النيل بأن يصير سره مرآة
مجلوة تحاذي بها شطر الحق. وحينئذ تدر عليه اللذات العلا ويفرح بنفسه
وهو بعد متردد لما بها من أثر الحق. ويكون له في هذه المرتبة نظر إلى الحق
ونظر إلى نفسه وهو بعد متردد. ثم إنه ليغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط
وإن لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة وهناك يحق الوصول. فهذه الأحوال التي
وصفها إنما أراد بها أن تكون ذوقاً على سبيل الإدراك النظري المستخرج بالمقاييس
وتقديم المقدمات وإنتاج النتائج. وإن أردت مثالاً يظهر لك فيه الفرق
بين إدراك هذه الطائفة وإدراك سواها. فتخيل حال مكفوف البصر إلا أنه جيد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)